جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

منهجُ البحث العلميّ عند العلماءِ المسلمين في القرن الثاني الهجريّ
(تَعالُق عِلْمَي الكيمياءِ والنَّحوِ بين جابر بن حيّان وسيبويه أنموذجاً)

الدكتور

حسن خميس الملخ

أستاذ نظرية النحو والصرف ـ قسم اللغة العربيّة وآدابها كليّة الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة آل البيت - الأردن

العدد الرابع والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م

الجزء الرابع عشر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

منهجُ البحث العلميّ عند العلماءِ المسلمين في القرن الثاني الهجريّ
(تَعالُق عِلْمَي الكيمياءِ والنَّحوِ بين جابر بن حيّان وسيبويه أنموذجًا)

حسن خميس الملخ

قسم النحو والصرف ـ قسم اللغة العربيّة وآدابها كليّة الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة آل البيت - الأردن

البريد الإلكتروني: husenElmalkh@hotmail.com

الملخص

انبنى البحثُ على فَرَضيّةٍ علميّةٍ، تتمثّلُ في أنَّ في الثقافة العلميّة الإسلاميّة منهجًا واحدًا للبحثِ العلميّ؛ في جوهره، وفلسفته، وإجراءاته في المعالجة والتحليل والاستنباط مع هامشٍ من الخصوصيّة بين علمٍ وآخر؛ لهذا أوضح البحثُ بمنهجٍ تحليليّ تاريخيّ مدى التقارُبِ في منهج البحث العلميّ بين جابر بن حيّان: العالِم الكيميائي المعروف، وسيبويه النحويّ المشهور بناءً على ما ظهر في رسائل جابر بن حيّان، وكتاب سيبويه. وأهميّةُ دراسة وَحْدةِ المنهج بين هذين العالمين تَظْهَرُ في تأثيرهما الواسع في الكيمياء والنحو، وفي أنَّهما يعودان إلى بواكير البحث العلميّ في القرن الثاني الهجريّ، ويمثّلانِ تَجْرِبتين ناجحتين إلى حدٍّ كبيرٍ في البحث العلميّ والتقنين المعرفيّ. وقد توصّل البحثُ إلى تأكيد فَرَضيّة وَحْدة منهج البحث العلميّ في الإسلام الذي اتخذَ من المشاهدة، أو السماع، ثم الفرْض، والاستنباط، والقياس، والتعليل أُسُسًا للبحث العلميّ؛ ولا سيّما أنَّ اللغة العربيّة كانت أداةَ التعبير الأولى عن المعرفة لدى العلماءِ المسلمين على اختلاف لغاتهم.

الكلمات المفتاحية: النحو العربيّ، منهج البحث عند المسلمين، جابر بن حيّان، سيبويه.

Research Method of the Muslim Scholars in the Second Century AH: a Comparative Study of the Scientific Approach (represented by Jabir ibn Hayyan) & the Linguistic Approach (represented by Sibawayh)

Hassan Khamis El-Malkh
Professor of Arabic Grammar and linguistics Department of Arabic Language Faculty of Arts and Humanities Al al-Bayt University, Jordan
Email: husenElmalkh@hotmail.com

Abstract

This research is based on the hypothesis that early Muslim scholars in the different fields of knowledge had used one similar research methodology. The similarity of research methodology appears in the overall essence of their research, philosophy, processing and analyzing data, and inducing—with a slight margin of privacy of each field of knowledge. This research uses historical and analytical approaches to explain the extent to which early Muslim scholars used similar methodology in their research—Jabir Bin Hayyan (an Alchemist) and Sibawayh (the well-known Linguist). It looks closely at the similarities as it appears in the former's manuscripts and the latter's book. This study focuses on these two scholars because of their importance since both had influenced the Muslim scholars in science and humanities. They are also considered two of the pioneers in research in the Muslim culture in the second century AH. They are also well known for their well-established scholarship and research methods. This study concludes that the research methodologies used by the aforementioned scholars are one and the same giving the slight margin of each field of knowledge in the following areas: observing, hearing, making hypotheses, inducing, and measuring. The linguistic style of research also seems similar since Arabic language was the medium of delivering their research.

Keywords: Arabic Syntax, Research methods of the Muslim scholars, Jabir Bin Hayyan, Sibayawayh..

بسم الله الرحمن الرحيم

الدراسة :

جابر بن حيّان الأزديّ، وسيبويه عمرو بن عثمان الفارسيّ اثنانِ من أشهرِ علماء المسلمين، نالَ كلٌّ منهما سُمعةً علميّة استثنائيّة في مجاله حتى صارَ جابر بنُ حيّان مَضْرِبَ المثل في عبقريّة العقل الكيميائيّ عند المسلمين، ورائدا من رُوّاد تطوير الكيمياء على مستوى المنجز الإنسانيّ، وحتى صارَ سيبويهِ مَضْرِبَ المثل في تقنين العربيّة وضبط مناحيها، وأحدَ أهمّ أعلام الفِكر اللغويّ في التاريخ الإنسانيّ كلّه، وهما مع هذه المكانة مُتعاصِرانِ، يجمعُ بينهما القرنُ الثاني الهجريّ تحت سماءِ أمّةِ الإسلام.

والاستثنائيّةُ في صفة الرجلين ليستْ لاحقةً بالمعرفة العلميّة الكبيرة التي حَذِقَها كلٌّ منهما؛ لأنَّ المعرفة تحصيليّة، لكنَّ تنظيمَها، والبحثَ فيها، والإضافة إليها، والتنبّؤَ بمسارها ومآلها، واستكناهَ النظريةِ الكامنة في المعرفة العلميّة المنتظمة، وتجريدَ قوانين كليّة أو جزئيّة تنظِّم حركةَ المعرفة العلميّة في العلم الواحد هي التوصيفاتُ الحقيقيّةُ لفكرة الاستثنائيّة في العلم، وهذه التوصيفاتُ يمكن اختصارها في كلمة سحريّة واحدة، تشبه أن تكون مفتاح الجنة العُلويّة في السماء، أو مدينةَ الكنز على الأرض، إنَّها المنهج، فحيثما وُجِدَ المنهج أو المنهاج؛ أثمرَ العملُ ونجح، مهما كان عددُ العاملين؛ لهذا امتنَّ الله سبحانه وتعالى على الناس أجمعين بأنَّ جعل لهم شِرعةً ومِنهاجا، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُم شِرْعةً وَمِنْهاجًا﴾ [سورة المائدة، من الآية ٤٨]، ولم يقل: شرائع ومناهج؛ لأنَّها مُنبثقة عن أصلٍ واحد، لاحقُه وتاليه صورةٌ في المنهج عن حقيقةِ سابقه وماضيه؛ لهذا قالَ عزَّ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾ [سورة آل عِمران، من الآية ١٩] بمعنى أنَّه الصورةُ الجديدة للمنهج نفسه.

وعندما دخلتْ أوروبا قبلَ بضعة قرونٍ العصرَ الحديثَ دخلته بمفتاح المنهج الذي استعلنَه[١] فرنسيس بيكون[٢] (Francis Bacon) في الربع الأوّل من القرن السابع عشر الميلادي سنة ١٦٢٦م في ثلاث كلمات مهمّة، تجمعها عبارة "منهج البحث العلميّ" في استعادة منه لآخر توقّفٍ حضاريّ من جهة الأوروبيين عند اليونانيّين على سبيل استمدادِ الأصل التاريخيّ الخاصّ بحضارته لا بحضارات الشرق، وفي استعارةٍ منه لأقربِ إنجازٍ معرفيّ علميّ حضاريّ، وهو الذي حقَّقه المسلمون، في سَعيه إلى التعويض عن عصور التوقّف الحضاريّ لأمم أوروبا في العصر الذي يَصِفون به وجودَهم الحضاريّ بعصر الظلمات في موازاة عصر الإبداع العلميّ البحثيّ والإنجاز المعرفيّ الحضاريّ عند المسلمين.

وهذا الاستعلانُ عن دُستورِ البحثِ العلميّ كان مفتاحَ العصر الحديث، وسيبقى مفتاح إنتاج المعرفة عند البشر أجمعين، وهذا المفتاحُ ليسَ فيه تحديدٌ لعلم الكيمياء أو النحو، أو الفيزياء، أو المنطق، أو الطبّ، أو النقد الأدبيّ، أو الهندسة، أو اللغة، أو ما شئت من العلوم؛ لأنَّ العلوم البشريّة مُنْتَجُ كائنٍ واحدٍ، اسمه الإنسان، يعمل على الإنتاج بتوظيف المقدرة التي

(١) نهدف من استعمال كلمة "استعلن" إلى تجاوز الجدل العقيم في الأسبقيّة التاريخيّ لمنهج البحث العلميّ بين التمثّل والتطبيق والتنظير من جهة، وصراع الحضارات والثقافات والمذاهب حول هذا المفهوم بين الخفاء والتجلّي والإدراك.

(٢) يُنظَرُ: رجاء وحيد دويدري، البحث العلميّ: أساسيّاته النظريّة وممارساته العمَليّة، دار الفكر، ط ١، دمشق، ٢٠٠٠م، ص ١٣٣.

امتنَّ بها الخالقُ عليه، وهي العقل. فالعقلُ البشريّ الذي أبدع حدائقَ بابلَ، وأهرامات الجيزة، وقوانين نيوتن في الفيزياء، وقوانين آينشتاين في النسبيّة، هو نفسه الذي أبدعَ في اكتشاف العقاقير الطبيّة، وتقنين اللغات المهمّة كالإغريقيّة، والعربيّة، والإنجليزيّة، وكتابةِ الأعمال الأدبيّة الخالدة كإلياذة هوميروس عند اليونان، وحكاية مدينتين لديكينز عند الإنجليز، وثُلاثية نجيب محفوظ في الأدب العربيّ الحديث.

قد تبدو المسافةُ بين هذه الإبداعات بعيدةً إذا نظرنا إليها، وأهملنا النظرَ إلى المبدِع نفسِه، لكنَّنا إذا نظرنا إلى المبدِع نفسه؛ فسنجد أنَّ الإنسانَ يقفُ بعقله البشريّ وراء هذه الإبداعات، لكنَّه لا يعمل إلا بمنهج منضبط في عُموميّاته أو كُليّاته، وإنْ كان متفاوتَ التوظيف في جزئياته؛ لأنَّ كُليّات المنهج العلميّ في الفرَضيّة والتجربة والاستنباط والبرهنة والتقنين أفرزت بطبيعة الاستجابة للتنوّع في ظِلِّ الفرادة والتوحّد عُدُولا إلى جهة التاريخ، فَوُلِدَ المنهج التاريخيّ، أو إلى جهة المجتمعِ بأفكاره وثقافاته فولِدتِ المناهجُ الاجتماعيّة، أو إلى جهة الأرقامِ التي أدّت إلى المنهج الإحصائيّ، أو إلى جهة العلاقاتِ البينيّة بين العلوم والمعارفِ في الحرص على الإفادة من الآخر فوُلِدَ المنهج المقارن، أو إلى جهة الاكتفاء بالوصف الحقيقيّ للمادّة وما في حُكمها فَوُلِدَ المنهجُ الوصفيّ، وما إلى ذلك من المناهج[1] التي تَلبَسُ لَبُوسَ الفِكر أحيانا كالمناهج الاجتماعيّة الواقعيّة والاشتراكيّة، لكنَّها عند الإجراءات التطبيقيّة تتوارى خَلف خطواتِ المنهج العلميّ.

(١) قد ننظر إلى المناهج على مستوى الإجراءات إلى أنَّها منهج استنباطيّ، وتجريبيّ، واستردايّ؛ فنتجاوز إلى حدٍّ ما الاقتران الطبيعيّ بين المنهج والمحتوى الفلسفيّ أو الفكريّ، لكنَّنا في النهاية نرى المنهج فلسفة وإجراءات وشكلا ومحتوى وتطبيقات مختلفة متنوّعة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ففي الأبحاثِ الطبيّةِ تبرزُ الحاجةُ إلى المنهج الإحصائيّ؛ لإعادةِ تدقيق المعطيات الطبيّة على ضوء التغيّرات الإحصائيّة، كما تبرز الحاجةُ إلى إجراء التجارب المستندة إلى فرَضيّاتٍ جديدةٍ وأهدافٍ مستجدّةٍ لاكتشافِ معطيّاتٍ طبيّة جديدة واختبارها. وفي الأبحاث الفيزيائيّة تبرز الحاجةُ إلى التجريب والبرهنة الرياضيّة لتحويل البرهان إلى حالات تطبيقيّة.

لكنَّ الحقيقة الغائبة أحيانا أنَّ العامِلينَ في البحثِ العلميّ يمتلِكون معرفةً بحثيّةً تصوُّريّة وإجرائيّة، ومعرفة علميّة على قَدْرٍ ما في حقل بحثهم، ويمتلكون لغةً يُعبِّرون بها عن البحث والمعرفة، لكنَّهم يمتلِكون شيئا مُهمّا جدا فيما وراءَ حقل التخصّص على مستوى ما، قد يضيقُ إطارُه إلى المعارف التي درَسُوها في المدارس ونحوها، وقد يتّسعُ إلى معارفَ أوسع، فتتسع الدائرةُ المعرفيّة لهم؛ وهذا يُعني أنَّ المعرفةَ البشريّة كلَّها دائرةٌ واحدةٌ باعتبار وَحْدةِ المنتِج؛ وهو العقلُ البشريّ، توجدُ في داخلها أَنْوِيةٌ صَغيرةٌ لكلِّ تخصُّص على حِدةٍ، كما في تمثيل الذرّة وأَنْويتها، وهذا العِلم في دائرته قليلٌ صغيرٌ يصدقُ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِنَ العِلْمِ إلا قَلِيلا﴾ [سورة الإسراء، من الآية ٨٥] الأمر الذي يسمحُ بإفادة العلوم بعضِها من بعضٍ على سبيل الضرورة في المنهج، وعلى سبيل الاحتياج في المصطلحات، والتقنيات، والرؤى الخاصّة، والمشكلات البحثيّة ذات الأوجُه المعرفيّة المختلفة.

وفي هذا انتصارٌ لفكرة العُلوم البَينيّة، أو – بالأصحّ – إعادةُ فهْم لفكرة العالِمِ القديم الذي كان يُبهرُنا بمعرفته في التاريخ والطبّ والهندسةِ والأدب والفقه والفلسفة، وما يزال حتى الآن يبهِرُنا بقُدرته على التنقّل من غير جواز سَفرٍ بين الإعلام والفلسفةِ وعلم النفس واللغةِ والسياسةِ واللسانيّات

والفِكر، كما في شَخصيّة العالِم الأمريكيّ المعروف: نعوم تشومسكيّ؛ لأنَّنا إذا نظرْنا إلى منهج علمٍ ما على أنَّه الشكلُ الداخليّ لغرفةٍ في طابقٍ ما من بُرْجٍ ضَخْمٍ؛ نكونُ قد أهملنا أنَّ هذه الغرفةَ من داخلها ومن خارجها هي جزءٌ من أُسُسِ بناء ذلك البرج الضخم الذي تتوزَّعُ على غُرَفِه العلومُ الجامعةُ لمواصفات العلميّة في الشمول والكليّة والتقنين والبرهنة وما إلى ذلك من مُواصفات العلميّة في العلم.

نقول هذا في سياق الإيمان بأنَّ الآخرَ ليسَ بعيدا عنّا نحن أهلَ اللغة، فالمنهجُ يجمعُ بيننا؛ لأنَّ "سؤال المنهج: كيفَ يُدَلِّلُ العالِمُ على صِحّةِ قضيّةٍ من القضايا، أو قانونٍ من القوانين، أو نتيجةٍ من النتائج؟ ومعنى هذا أنَّ عِلْمَ المناهج عِلمٌ بَعْدِيٌّ"(١)، فلِكُلٍّ منّا داخلَ تمثيل ذرّة المعرفة مَدارٌ وموضعٌ يُنظِّمان مسافة علاقتنا بالآخر من غير أن يَلْحَقَ بها بَتْرٌ غاشِمٌ، أو فَصْلٌ واهِمٌ إلى عالَمَين مختلفين؛ فليسَ لنا على هذه الأرض سِوى عالَمٍ واحدٍ، نلتقي فيه، لنعمره، ونُوكِلَ رسالة مُتابعة العِمران لأولادنا ولأحفادنا حتى يبقى بُنيانُ المعرفة البشرية في تقدُّم، وحتى يكونَ عيشُنا على هذه البسيطة ليسَ مرورا عابرا، بل رسالةً معرفيّة علمية نتركُها لمن بعدنا كما تركتْ الفتاةُ الفِطريّة الطفلة "أَليسْ" رسالتَها لكائناتِ العالَم السُّفلي عندما فارقتْ عالَم العجائب إلى عالمها الحقيقيّ عالَم البشر، في الرواية العالميّة المشهورة "أَليسْ في بِلادِ العجائب"، وعلى هذا المغزى يمكن فَهم قَولة جابر

(١) جلال محمد عبد الحميد موسى، منهج البحث العلميّ عند العرب، دار الكتاب اللبنانيّ، ط ١، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٣١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بن حيّان: "إنَّ في الأشياء كلِّها وجوداً للأشياءِ كلِّها، ولكنْ على وجوهٍ من الاستخراج"(١).

ولهذا قد تتفقُ مفاتيحُ العلوم ومصطلحاتها مع احتفاظِها بشيءٍ من الخصوصيّة، كمُصطلح: "الفاعل"، فله في النحو دلالةٌ، وفي الهندسة دلالةٌ أخرى، وفي المنطق دلالةٌ ثالثة، وفي القانون دلالةٌ رابعة، وهكذا.

وجابرُ بن حيّان الأزديّ أشهرُ عُلماء الإسلام في الكيمياء، اختلفتْ فِرَقُ الإسلامِ وشُعوبُه في نَيل شَرَف نسبتِه إليها، لكنَّهم اتفقوا على أنَّه عاشَ في القرن الثاني الهجريّ، وتنقّلَ في بلادِ فارس والعراق والشام، ولا سيّما في طُوس والكُوفة، وكانت حياتُه على الراجح والتقريب بين سنتي ١٢٠-١٩٨ للهجرة/٧٣٨-٨١٣ للميلاد((٢)). وفي موازاته كان عَمرو بن عُثمان بن

---

(١) جابر بن حيّان (ت ١٩٨ه/٨١٣م)، كتاب إخراج ما في القوّة إلى الفعل، ضمن كتاب: مختار رسائل جابر بن حيّان، عُنِيَ بتصحيحها ونشرها: ب. كِراوس، مكتبة المثنى، ط ٢، بغداد، ١٩٩٤م، ص ٦. وثمة نشرة جديدة بعنوان: رسائل جابر بن حيّان، أعدَّها أحمد فريد المزيدي، ونشرتها دار الكُتب العلميّة في بيروت سنة ٢٠٠٦م، لكنَّها طبعة غير علميّة، وغير كاملة؛ لهذا تجاوزنا عمّا فيها، واعتمدنا الطبعة العلميّة من مختار رسائل جابر بن حيّان التي أخرجَها المستشرق: پ. كراوس.

(٢) يُنظر في حياته واضطراب الباحثين في تفاصيلها ما كتبه: النديم، محمد بن إسحاق (ت ٣٨٥ه/٩٩٥م) الفهرست، ضبطه وشرحه وعلّق عليه وقدَّم له: يوسف علي طويل، دار الكتب العلميّة، ط ١، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٥٤٦-٥٤٧. وفؤاد سزكين، تاريخ التراث الإسلاميّ: السيمياء والكيمياء – النبات والفلاحة، ترجمة مجموعة مترجمين، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٤م، ج ٤، ص ١٩٧-٢٠١. وزكي نجيب محمود، جابر بن حيّان، مكتبة مصر: المركز العربي للثقافة والعلوم، مصر، ١٩٦١م، ص ١١-١٩. ورحاب عكاوي، جابر بن حيّان الموسوعيّ العربيّ، دار الفكر العربيّ، ط ١، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٦-٣١.

قَنْبَر الفارسيّ الأصل، البصريّ المنشأ والموطن، المشهور بِلَقب: سِيبويهِ قد عاش في القرن نفسِه، وغادَرَ البصرة مرةً إلى بغداد، ومنها إلى شيراز في بلاد فارس حيث توفي رحمه الله، وكانت حياته على الراجح والتقريب بين سنتي ١٣٥-١٨٠ للهجرة/٧٥٢-٧٩٦ للميلاد، فهما مُتعاصران يجمعُ بينهما العِراق[١] مع أنَّ جابرَ بنَ حيّان كوفيٌّ، وسيبويهِ بصريٌّ، لكنَّنا ننظرُ إلى المدينتين نظرةَ تواصُلٍ، لا تفاصُلٍ بِطُرقٍ كثيرةٍ؛ لِنَقْلِ المعارفِ والعلوم والتجارب في العالم الإسلاميّ آنذاك.

وقد جاءَ جابر بن حيّان إلى الدّنيا في آخرةٍ من عهد الأمويّين الذين ما كَتبوا تاريخَهم العلميّ، لكنَّ العبّاسيّين وَرِثوهم وِراثةَ كَلالةٍ، فَحَصَدوا ثمارَ ما زرعَه الأمويّون؛ ذلكَ أنَّ التاريخَ يُثْبتُ اسمَ أميرٍ أُمويّ، ظفر بالعِلْمِ بعدَ أن فاتَه الظفرُ بالخِلافة عندَما اتجه إلى تحصيل علم الصَّنعة، أي: الكيمياء، على يدِ مجموعةٍ من العلماء، أهمُّهم عالِمٌ يونانيُّ الأصلِ، اسمُه مِريانوس، وهذا الأميرُ الأمويّ هو: خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سُفيان الذي احترفَ الكيمياءَ حتى تفوّقَ فيها بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ، وعاشَ على الراجح والتقريب بين سنتي ٤٥ للهجرة، و١٠٢ للهجرة في بلاد الشام، ويُرجَّحُ أنَّه ترك تُراثا عربيَّ اللسانِ بالكيمياء في محاولةٍ أولى إلى تحقيق وجودٍ إسلاميّ باللغة العربيّة في الكيمياء مع ما يحتاجُ إليه هذا الوجودُ من تعريبٍ ونحوه[٢].

---

(١) قدَّمنا جابر بن حيّان على سيبويه عَمَلا بالأثبت؛ وهو أنَّ جابر بن حيّان قد وُلِد قبل سيبويه على اليقين، وشدا بمعارفه وعلومه قبله بما يُقارب العقدين من الزمان، لكنَّ تاريخ وفاة الرجلين فيه اضطراب كبيرٌ جدا يبلغ عشرات السنين.

(٢) للتوسّع؛ ينظر: فاضل خليل إبراهيم، خالد بن يزيد: سيرته واهتماماته العلميّة: دراسة في العلوم عند العرب، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٤م، ص ٩٧-١٦٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد وَرث جابرُ بنُ حيّان علمَ خالدِ بنِ يزيد من غير أن يُعاصِرَه عن طريق أستاذِهما المشترك مِرنايوس[١] الذي لم يُعَمَّرْ مع جابرٍ طويلا، كما ورثَ سيبويه عِلم عبدالله بن أبي إسحاق الحضرميّ، وعيسى بن عمر المتوفّى سنة ١٤٩ للهجرة، وأبي عمرو بن العلاء المتوفّى سنة ١٥٤ للهجرة عن طريق الخليل بن أحمد الفراهيديّ؛ لأنَّ سيبويه لم يُشافِهْ عيسى بنَ عمر، وأبا عمرو بنَ العلاء إلا قليلا يَسيرا.

وقد يكونُ التعالُقُ في المنهج بين جابر بن حيّان والخليل بن أحمد الفراهيديّ حاضرًا وواضِحا، لكنَّه كَظِلٍّ في الليل، لا يظهرُ إلا في نهارِ سيبويه؛ لأنَّ سيبويهِ تركَ لنا كتابه "الكتاب" في النحو والصرف والأصوات، ولأنَّ جابرَ بن حيّان تركَ لنا "رسائلَه" في الصنعة والفلسفة والميزان، وهذا يعني أنَّ مُقتضى التعالُق يستدعي الأثر، ولهذا يظهرُ بين جابر بن حيّان وسيبويه على نحوٍ واضِحٍ جليّ، يُضمِرُ الإرثَ العلميّ لكلٍّ واحدٍ منهما في أساتذته وكُتبه.

ولا عبرةَ بالتشكيكِ في نسبةِ رسائلِ جابر بن حيّان إليه؛ لأنَّها تحتملُ صِحّةَ النسبة احتمالا قَويّا راجِحا، ولو لم تكن جميعُها من تأليف جابر بن حيّان؛ لكان في نَحْلِ بَعضِها القليلِ عليه – إن ثَبَتَ – تقليدٌ لعمله هو في التأليفِ، فلنجعلْ ما جَرى محاكاتُه على منهجِه بمنزلةِ ما ألّفَه على ذُكرٍ واحتراسٍ بأنَّ زمنَ التقليد ما تطاوَلَ وتقادَمَ، بل كانَ بُعَيدَ حياتِه بقليلٍ قبلَ أنْ تخطوَ كيمياءُ المسلمين والعرب خطواتٍ أخرى على يد كيميائيّين آخرين من المسلمين، وليكُنِ الإيمانُ بمبدأ التطوّر ضابطا يمنعُنا من تفسير الإنجازاتِ

(١) يُطلق عليه جابر بن حيّان اسمَ: بليناس. يُنظر الجزء الأول والثاني والرابع من كتاب الأحجار على رأي بليناس، ضمن كتاب: مختار رسائل جابر بن حيّان، ص ١٢٦–٢٠٥.

على طريقة المفاجأة بعظمة الإنجاز، أو طيٍّ قرنٍ ونصف من تاريخ المسلمين قبل العصر العباسيّ، لم يكونوا فيه قوّةً فكريّة وعسكريّة فحسب، بل كانوا في الطريق لتكوين قوّةٍ حضاريّة علميّة آتتْ أُكلَها في العصر العبّاسيّ؛ لأنَّ النهضة مفهومٌ شامل، ولأنَّ الدينَ الإسلاميّ دينُ المعرفة والقراءة والبحث، فأوّلُ كلمة فيه "اقرأ".

وتُراثُ جابرِ بن حيّان في حجمه أقلُّ من كتاب سيبويه وحدَه، فبعض كتبه أو رسائله لا تتجاوزُ صفحاتِ اليد الواحدة، ولكي لا نبتعدَ كثيرا عن ذاكرة المعرفة في التاريخ الإسلاميّ، نؤكّدُ أنَّ بعض المترجِمين المسلمين كان لهم موقِفٌ مُعادٍ لأفكاره من غير إنكار نسبةِ آثاره المكتوبة إليه، مثل الصفديّ[(١)] المتوفَّى في القرن الثامن الهجريّ.

كما نستحضِرُ الخَبَرَ الذي رَواه أبو عُبيدة المتوفَّى في أوّل بضع سِنين خلتْ من القرن الثالث الهجريّ، ومؤدّاه أنَّ الدفاتر التي ألَّفها أبو عمرو بن العلاء المتوفى بُعَيدَ واسطةِ عقد القرن الثاني الهجريّ كانتْ مِلْءَ بيتٍ إلى السقف، فأحرقَها وتنسَّكَ[(٢)].

فالعقلُ العربيُّ استيقظَ بالإسلام، ولم يُعدْ إناءُ المعرفة فارغا أو كالفارغ، ولعلَّ تلامذةَ جابر بن حيّان لم ينهضُوا بشيخِهم حقَّ النُّهُوض،

---

(١) يُنظر: الصفديّ، صلاح الدين خليل بن أيبك (٧٦٤هـ/١٣٦٣م) الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربيّ، ط ١، بيروت، ٢٠٠٠م، ج ١١، ص ٢٧-٢٨.

(٢) يُنظر: السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ/١٥٠٥م) تحفة الأديب في نحاة مُغني اللبيب، تحقيق: حسن الملخ وسهى نعجة، عالم الكتب الحديث، ط ١، الأردن، ٢٠٠٥م، ج ٢، ص ٥٩٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فصارتْ رسائله كالإكسير، أو أنَّ هَوَى المذاهب، ومداخلَ السياسةِ، والشعوبيّةِ، وأهواءَ الباحثين القدماء والمعاصِرين قد عَبَثَ بسيرته وسيرورته وصيرورته، لكنَّه لم يستطِع أن يطمِسَ آثارَه، ولا يمكنُ استِبعادُ ما ذكَره محمد عابد الجابريّ بعد أنَّ عَدَّ كيمياءَ جابر بن حيّان أوَّلَ عناصر الانتقال العلميّ من حضارة اليونان إلى حضارة الإسلام، لكنَّ المسلمين نظروا إليها على أنَّها علمٌ غيرُ بريءٍ من بعضِ الأفكار التي يرفضُها الإسلامُ كالتنجيم، فاحتاجتْ أفكارُ جابر وقتًا أطولَ لتؤدِّيَ دورَها في تأسيس دَور المسلمين في علم الكيمياء، ولا سيما أنَّه كان مختلطا آنذاك بأبحاث في النفس والفلسفة(١)، فيكون في نظر بعضِ المثقّفين والعلماء من العلوم الملوَّثة.

وليس بصحيحٍ أنَّ المعرفة في تلك العصور وقبلها كانت مرهونةً بالتلمذة المباشرة؛ لأنَّ المعرفةَ كانت حالةً منتشرةً بفضل التلاميذ من جهةٍ أولى، والكُتبِ من جهة ثانية، والتداولِ الإعلاميّ الاجتماعيّ لأخبار العلماء من جهة ثالثة؛ لأنَّنا في هذه الأوراق نقرأُ وَحْدةً في كُليّاتِ منهج البحث العلميّ بين جابر بن حيّان الكيميائيّ وسيبويه النحويّ، ونتخذُ منها فَرَضِيّة علميّة، تؤدِّي إلى التصريح بإشكاليةٍ مَرَضِيّةٍ سيّئةٍ في تاريخ البحث العلميّ عند المسلمين، تجعلُ لعلماءِ الحديثِ والفقه والتفسير منهجا خاصّا، كما تجعل لعلماء النحو والصرف منهجا خاصّا، وتجعل لعلماء الكيمياء منهجا ثالثا خاصّا، وتجعل لغيرهم منهجا رابعا وخامسا وسادسا و... إلخ، ولا يظهرُ التقاربُ إلا عند الاحتياج العلميّ كاحتياج المفسّر أن يكونَ عالما

(١) يُنظر: محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربيّ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١٠، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ١٩٥.

بالعربيّة؛ لأنَّ القرآنَ الكريم لسانٌ عربيّ مُبينٌ، واحتياج المحدِّثِ أن يكون ناطقا بالعربيّة على مَعهود لسان العرب في الفصاحة والبيان.

ولو نظرْنا إلى "القياس" عند علماءِ المسلمين على أنَّه رَكيزةٌ كُليّةٌ تنضوي تحتها خطواتٌ منهجيّة إجرائيّة مثل: المقارنة والربط والاستنباط والتعليل؛ لعرفْنا أنَّ ما يجمعُ بين الفقهاء والنحاة والصرفيّين والأطباء والمهندسين والكيمياء رَكيزةٌ أساسٌ من ركائز منهج البحث العلميّ، ولا سيّما أنَّ التصريحَ بأصالة القياس مُعلَنٌ عَنهُ في أصول الفقه الإسلاميّ، وأصول النحو العربيّ الإسلاميّ، بل إنَّه كما قال محمد عابد الجابريّ، أصلٌ منهجيّ بل المنهاج المفضّل في التفكير(١).

والأمرُ الذي استدعي دراسةَ منهجيّةِ البحث العلميّ بين جابر بن حيّان وسيبويه نما من حديثِ جابر عن الميزان الصرفيّ، والمجرّد والمزيد في العربيّة في سياق توظيفِه إيّاه في حديثه عن تركُّب المادّة، وهو أمرٌ استحضَرَ على الفَور حديثَ سيبويه عن الخفة والثقل في سياق تعليل بعض الظواهر في العربيّة، انطلاقا من أنَّ الكيمياء مركزَ معرفة جابر، والعربيّةُ بنحوها وصرفها ثقافةُ منهج، في موازاة النحو والصرف عند سيبويه مركزَ معرفةٍ، ومفاتيح علم الصَّنعة في الكيمياء ثقافة منهج، لكنَّ الثقافة المنهجيّةَ الأوسع بين الرجلين هي في دراستهما العلمَ من منظورٍ إسلاميّ يستحضرُ ثقافةً ضروريّة في القرآن الكريم، والفقه، والحديث في استبطانٍ لبناء حضارةٍ إسلاميّة ترثُ حضاراتِ الشرق والغرب معًا، ولا سيما حضارة

---

(١) يُنظر: محمد عابد الجابريّ، بنية العقل العربيّ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٩، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ١٣٧ مع ضرورة الإشارة إلى أنَّ اختلاف زاوية النظر المعرفيّة للقياس لا تخرجه عن صفة المنهجيّة المفضّلة عند علماء الإسلام في كلّ ما يتجاوز حدود النصّ.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

اليونان وعلومهم التي سبقت آثارُها في الكيمياء تأثيراتِها في النحو والصرف؛ لأنَّ الكيمياءَ علمٌ إنسانيّ عام، لكنَّ النحوَ العربيّ علمٌ خاصّ بالعربيّةِ والناطقين بها من غيرهم، فيكون علمَ هُويّةٍ، وعُلوم الهُويّة الخاصّة تتأخّرُ بالتأثُّر بالآخَر عن عُلوم الإنسان العامة؛ لهذا لا يمكنُ إثباتُ تأثير المنطق اليونانيّ في النحو العربيّ إلا بعد القرنِ الثالث الهجريّ، في الوقت الذي صرَّحَ فيه خالدُ بن يزيد وجابرُ بن حيّان بتلمذتهما على مِريانوس اليونانيّ تصريحَ الإعلان عن مصدر التأثير، أو لنقل: مصدر الاستيراد قبل الفهم والتعديل والإضافة.

ويبدو أنَّ جابر بن حيّان كان أكثرَ إدراكا من سيبويه لفكرةِ موقع مركزه العلميّ من العلوم الأخرى في نواة المعرفةِ العلميّة المنتظمة؛ لهذا حدّدَ موقعَ عِلْمِه من سائر علوم عصره عامة، ومن النحو[١] خاصّة عندما قالَ بعد حديثه عن تقسيم الكلام: "وهذا كلّه مجرَّدٌ للنحويّين في المواضع المعروفة بالتصريف؛ فإنَّهم قد أحْكَموا ذلك غايةَ الإحكامِ[٢] إلا أنّا نقولُ فيه بحسب الحاجة إليه"[٣]؛ فهو على درايةٍ بأنَّه يبحثُ في الكيمياء، لكنَّه يستجيبُ للآثارِ البحثيّة في العلوم الأخرى، منها الصرفُ والنحو، وقد ذكَرَ في كتابِ الحدود مفهومَ الحدّ[٤]، وانطلق منه إلى تحديد حدودِ العلوم

(١) مصطلح النحو عند جابر بن حيّان يتّسع ليشمل الصرف.

(٢) إنَّ وصفَ جابر بن حيّان لعمل النحاة في تقسيم الكلام بأنَّه "غاية الإحكام" يدلّ على أنَّ النحو والتصريف من ضِمنه قد قَطَع شَوطا طويلا من العمل البحثيّ قَصْد التقنين التامّ لكلام العربِ في إشارة إلى جهودِ طبقات النحاةِ قبل سيبويه، ومن غير وجود إشارة صَريحة إلى اطّلاعِه على كِتابِ سيبويه، وإن كانَ الظّنُّ العلميّ يُغَلِّبُ اطّلاعَه عَليه.

(٣) جابر بن حيّان، كتاب إخراج ما في القوّة إلى الفعل، ضمن كتاب: مختار رسائل جابر بن حيّان، ص ١١.

(٤) يُنظر: جابر بن حيّان، كتاب الحدود، ضمن كتاب: مختار رسائل جابر بن حيّان، ص ٩٨.

الأخرى، ومنها علمُ الحروف، وعلم معنى الحروف، وعلم معاني الحروف الطبيعيّ[١]، وذكرَ حَدّ الحروف، وحدّ المعاني[٢].

وهذه الموقعيّةُ العلميّة راجعةٌ إلى أنَّ عِلْمَ الصَّنعة أو الكيمياء كانَ جزءا من المظلّةِ العلميّة المعرفيّةِ للفلسفة، لكنَّ النحوَ ما كان جزءا من المظلة المعرفيّة للفلسفة كما في الحضارة اليونانيّة، بل كان جُزءا من المظلة المعرفيّة لعلوم الدين الإسلاميّ، ويبدو أنَّ موقعَه كانَ بين المظلّتين، فأفادَ منهما، لكنَّه لم ينسلخْ عن مظلة علوم الدين في الإسلام.

أمّا سيبويهِ فكان مَعْنيّا بالنحو والصرف والأصوات من غير التنظير العلميّ الصريح في المنهج والموقع من بعضِ العلوم في خضوعٍ منه لفكرة تعليم العربيّة[٣] أكثرَ من فكرة البحث في النحو والعربيّة، وهي الفكرةُ التي ما تزال تسيطرُ على النحو العربيّ، مع أنَّ أنظار النحويّين والصرفيّين سبقتْ في النُّضج أنظارَ أهل الصَّنعة كجابر بن حيّان؛ لأنَّه اتّخذَ من أنظارِهم مَقِيسًا عليه وأصلاً، كقوله في كتاب التصريف: "فحقيقٌ أن يكون تصريفُ الطبائع كتصريف الحروف"[٤] . والمقيسُ عليه من مواصفاته الاستقرارُ والسِّبقُ التاريخيُّ والنُّضْجُ، كما أنَّ مَشروعَ بناء النحو والصرف وغيرهما يرجعُ أمرُ بدايته إلى عهدِ الخلفاء الراشدين، فليسَ كتابُ سيبويه إلا النسخة شبه الكاملة من المشروع بعد أجيالٍ من طبقات النحاة واللغويّين العاملين فيه بمنهج علميٍّ دقيق.

---

(١) يُنظر: المصدر السابق نفسه، ص ١٠٣.
(٢) يُنظر: المصدر السابق نفسه، ص ١٠٩.
(٣) يُنظر: حسن خميس الملخ، العقل النحويّ: دراسة تفكيكيّة في مسائل الخلاف النحويّ، عالم الكتب الحديث، ط ١، الأردن، ٢٠١٨م، ص ٤٠٨-٤١٦.
(٤) يُنظر: جابر بن حيّان، كتاب التصريف، ضمن كتاب: مختار رسائل جابر بن حيّان، ص ٣٩٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد أدركَ زكي نجيب محمود بألمعيّته أنَّ فلسفةَ العلم عند جابر بن حيّان تنطلقُ من اللغةِ في فلسفةٍ لغويّة لافتةٍ؛ لأنَّه كان يستدِلُّ على خصائص المادّة والعالَمِ من خصائص اللغة في البساطة والتركيب؛ فإن كان تركيبُ الجملة لا يكون إلا بتوافر جانبين، هما: المسند إليه والمسند؛ فلا بُدَّ أن تكون أشياء العالم على هذا النحو من التأليف؛ فيكونُ لكلِّ شيءٍ جوهرُه من جهة، وخصائصُه من جهة أخرى(١) ؛ لأنَّ في الشيءِ رسالةً أو فكرةً حصلتْ بالتضامّ من العناصر الأَوَّليّة، كما تحصلُ الجملةُ على شرط الإفادةِ عند النحاة باستثناء الخالق سبحانه؛ إذ هو أصل الوجود على صفة الإطلاق.

فتكون دراسةُ اللغةِ عند جابر بن حيّان دراسةً للمدلولِ عليه بها، فدراسةُ الاسم هي في الوقت نفسِه دراسة للمسمَّى(٢)، وليسَ لمعنى الاسم بالمواضعة المعجميّة المطلقة بالضرورة، فقد يُسَمَّى أبو البخل بأبي الكَرَم(٣) على تناقض ما بين دِلالتَي: البُخل والكَرَمِ؛ ولهذا أشار إلى أنَّ الأحجارَ السبعةِ كالذهب والفضّة والنحاس وغيرها يُعبَّرُ عنها باللسان العربيّ بلفظٍ يُغاير اللسان الروميّ واللسان الفارسيّ مع أنَّ المسمّى واحدٌ.

فكأنَّ اللغةَ عنده إدراكاتٌ مُوحَّدةٌ في المدلول عليه مختلفةٌ في اللفظ الدالّ به(٤)؛ فالمعاني تحدثُ بالمواطأة(٥)؛ لأنَّها- كما استخلَصَ أدونيس من كلام جابر بن حيّان- مُنبثقةٌ عن النفسِ ومنها، كالنَّغَم ينبثِقُ عن الوَتَرِ(٦)، فيمكن أنْ تُغَنَّى على اللَحن الواحد نفسِه عِدَّةُ أُغنِياتٍ بِلُغاتٍ مختلفة ومَعانٍ مُتباينةٍ.

---

(١) يُنظر: زكي نجيب محمود، جابر بن حيّان، ص ١٠٩-١١٠.
(٢) يُنظر: المرجع السابق نفسه، ص ١١١.
(٣) يُنظر: جابر بن حيّان، كتاب التجميع، ضمن كتاب: مختار رسائل جابر بن حيّان، ص ٣٤٣.
(٤) يُنظر: جابر بن حيّان، كتاب الأصل، ضمن كتاب: مختار رسائل جابر بن حيّان، ص٥٣٥-٥٣٦.
(٥) يُنظر: جابر بن حيّان، كتاب الحدود، ضمن كتاب: مختار رسائل جابر بن حيّان، ص ١٠٩.
(٦) يُنظَرُ: أدونيس، النصّ القرآنيّ وآفاق الكتابة، دار الآداب، ط ١، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٨٢.

وذَهَبَ جابرُ بن حيّان إلى أنَّ أشكالَ الحروف المكتوبة تأتي بالمواضعة للدلالة على الأصواتِ المقطَّعةِ تقطيعا[١]، فاللغةُ هي الأصواتُ المسموعة المتداولة، أمَّا الكتابةُ فتمثيلٌ رمزيٌّ لها[٢]؛ ولهذا لم يردْ عِندَ سيبويه في كتابه احتجاجٌ بِمُطلَق الكتابةِ سِوى الاحتجاج بِكتابة المُصحَف عِنْدَ جَوازِ وَجهٍ آخر كما في إعمال (ما) الحِجازيّة[٣]. في تأكيدٍ مِنه خَفِيٍّ في الإعلان صَريحٍ في الاستِخلاص بأنَّ اللغةَ أصواتٌ، وكتابتُها مُواضَعة.

والحروفُ بسيطةٌ في ذاتها، تحدثُ لها المعاني بالتركيب، فقال جابرُ بنُ حيّان: "والدليل على ذلك أنَّ القاف والألف واللام حروف منفردة؛ فإذا أُلِّفَت كانت "قالَ". وأصل "قالَ" في العربيّة "قَوَلَ" بتحريك الواو، فلما كثرت أسكِنتْ الواو، فصارت "قَوْلَ، فلسكون الواو وانفتاح ما قبلها انقلبت ألفاً، فصارت "قالَ"[٤].

وهذا يعني أنَّ اللسانَ يمكنه أن يقول: "قَوَلَ زيدٌ"، لكنَّ علّةَ كثرةِ استعمال الواو أدّتْ إلى تخفيفها؛ فتحوّلَت إلى ألفٍ حسب تعليل جابر بن حيّان لسكونها وانفتاح ما قبلها. وهذا التعليلُ نفسه قال به سيبويه بقوله: "وإنَّما كان هذا الاعتلالُ في الياء والواو لكثرة ما ذكرتُ لك من استعمالهم إيّاهما، وكثرة دخولهما في الكلام، ....، فلمّا اعتلّت هذه الأحرُف جُعِلَتْ الحركة التي في العين محوَّلة على الفاء"[٥].

---

(١) يُنظر: جابر بن حيّان، كتاب الحدود، ضمن كتاب: مختار رسائل جابر بن حيّان، ص ١٠٩.
(٢) يُنظَرُ: حسن خميس الملخ وسهى فتحي نعجة، المحظورات النحويّة: منازل الرؤية ومسالك التطبيق، عالم الكتب الحديث، ط ١، الأردن، ٢٠١٥م، ص ١٤٨.
(٣) يُنظَرُ في تفصيل المسألة: حسن خميس الملخ، تقنيات الإعراب في النحو العربيّ، عالم الكتب الحديث، ط ١، الأردن، ٢٠١٥م، ص ٩٤-٩٥.
(٤) يُنظر: جابر بن حيّان، كتاب التصريف، ضمن كتاب: مختار رسائل جابر بن حيّان، ص ٣٩٣.
(٥) سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٣٣٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وليستِ المسألةُ مسألةَ صحّة التعليل صَوتيّا بقدر ما هي مسألة توظيف تَقنيةِ الكثرةِ في التخفّف توظيفا مُطّردا بمعنى أنَّ كثــرةَ اســتعمال الشــيء مُؤذِنةٌ بتخفيفه على سبيل الاقتصاد.

وقد توصَّلَ زكي نجيب محمود إلى أنَّ مذهبَ جابر بن حيّان في البحث العلميّ يتلخّصُ في ثلاث خطوات(١):

الخطوة الأولى: أن يستوحي العالِمُ من مشاهداته فَرضا يفرِضُه ليفسِّر الظاهرةَ المراد تفسيرُها.

الخطوة الثانية: أن يستنبطَ من هذا الفرض نتائجَ تترتّبُ عليــه مــن الوجهة النظريّة الصِّرف.

الخطوة الثالثة: أن يعود بهذه النتائج إلى الطبيعة ليرى: هل تصدق أو لا تصدق على مشاهداته الجديدة؛ فإن صدَقتْ تحوَّلَ الفــرضُ إلــى قــانون علميّ، يركَنُ إلى صوابه في التنبّؤ بما عَساه أن يحدثَ في الطبيعة.

وهذه الخطواتُ الثلاث لمنهج البحث ليست خاصّة بالكيمياء وحدَها، بل هي أقربُ ما تكون إلى الخطوات النظريّة والإجرائيّة في البحث العلميّ عنــد علماء الإسلام، ومنهم علماء النحو، فسيبويه في الكتاب اســتثمرَ مَرويّاتِــه ومشاهداتِه ومعارفَه في تفسير بعضِ مناحي العربيّة، فقال فــي بــاب مــا ينتصِبُ على إضمار الفعل المتروك إظهارُه استغناءً عنه: "وذلــك قولُــك إذا كنتَ تحذِّر: إيّاكَ. كأنَّك قلتَ: إيّاكَ نَحِّ. وإيّاك باعِدْ، وإيّاك اتِّق، وما أشبه ذا. ومن ذلك أن تقول: نفسَكَ يا فُلان، أي: اتَّق نفسَك، إلا أنَّ هذا لا يجوزُ فيــه إظهارُ ما أضمرتَ، ولكنْ ذكرتُه لأمثِّلَ لك ما لا يُظهَرُ إضمارُه"(٢) .

(١) يُنظر: زكي نجيب محمود، جابر بن حيّان، ص ٥٨.
(٢) سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٢٧٣.

ومن تعليلاته بالمشاهَدة وما في حُكمِها قولُه في تعليل بعض حالات حذف الفعل: "لكثرتها في كلامهم، واستغناءً بما يَرَونَ من الحال، وبما جَرى من الذِّكْر"(١).

واستنتجَ سيبويه استئناسا بهذا التعليل أنَّ الحذفَ واجبٌ في الحالات التي صحّ فيها فَرْضُه، فصارتِ الحالاتُ قانونا كُليّا صدَّقته الشواهدُ النحويّة التي ذكرَها(٢) .

وبرؤيةٍ أوسعَ يمكن أنَّ نضعَ عيّنة المادة اللغويّة الأولى في موضع المشاهَدات التي يستخلصُ النحاةُ منها قانونا أو يستنبطون من ورائها تعليلا، ثم يقومون بالتثبّت من قوانينهم وتعليلاتهم بإجراء المفاحَصة، والمطابقة على الكلام العربيّ المسموع كلّه، فإن اطّرد القانونُ المستنبط؛ ثبتَ قانونا صالحا لإنتاج الصواب اللغويّ على منواله من غير الاحتياج إلى سَماع المقيس عليه من كلام العرب، وهذا المنهجُ روحُ الاستقراء العلميّ وعِماده(٣) .

أمّا العلّةُ فاختبارها حسبَ معلولها؛ فإن كانت للتصحيح اللغويّ، فهي لاحِقةٌ بالقانون، وإن كانت للتعليل النظريّ فهي علّة ذِهنيّة، تجري البرهنةُ عليها بالنظر العقليّ كعلل العوامل وبعض الأقيسة.

لكنَّ النحاةَ أبقَوا مادّةَ المشاهدات في النحو نفسِه، واحتفظوا بها، وسمَّوها الشواهِدَ النحويّة في دِفاعٍ منهم عن أيّ اتّهام بالافتعال في اللغة قَد

(١) سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٢٧٥.
(٢) يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٢٧٥-٢٧٦.
(٣) يُنظر: حسن خميس الملخ، التفكير العلميّ في النحو العربيّ، دار الشروق، ط ١، الأردن، ٢٠٠١م، ص ٦٧-٧٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يُوَجَّه إليهم من غامزٍ أو لامزٍ؛ لكي يحفظوا للقرآن الكريم حُجّةَ صحّته اللغويّة أبدَ الدهر.

وقد توسَّلَ جابر بن حيّان بفكرة المجرّد والمزيد في التصريف؛ لتقريب فكرة المجرّد والمزيد في العناصر والطبائع والمكوّنات؛ لأنَّه قرَّرَ أنَّ الزوائد تكون في أوّل المادة، وفي آخرها، وفي وسطها، وهذه الزوائد في كلّ موضع تؤدي إلى واحدة من صورتين:

الصورة الأولى: يصبح فيها الزائد كالأصل في تكوين صورة جديدة أو مادّة جديدة.

وأمّا الصورة الثانيّة فصورة الزائد المُطَّرَح الذي لا يُعتدُّ به في ماهية الشيء، فهو كالعلامة العارضة.

ومثّلَ على الصورة الأولى بأبنية المجرّد في علم تصريف العربيّة، فقال: "إنَّ أصول الكلمة ثلاثةُ أبنيةٍ، وهي ثُلاثيّ ورُباعيّ وخُماسيّ"(١)، ثُمَّ ذكر صُوَرَ كلّ بناءٍ على الاستعمال والإهمال بالحصر وبالمثال(٢).

وهذا الكلامُ يتوازى مع قول سيبويه: "فالكلام على ثلاثة أحرف، وأربعة أحرف، وخمسة، لا زيادة فيها، ولا نُقصان"(٣)، وما سواها زوائد لمعنى لم يكن لها إلا بها، "وكذلك –والكلام لجابر بن حيّان – الكيمياء إنَّما هي إعطاء الأجسام أصباغا لم تكن لها"(٤).

---

(١) يُنظر: جابر بن حيّان، كتاب الأحجار، ضمن كتاب: مختار رسائل جابر بن حيّان، ص١٣٥.
(٢) يُنظر: جابر بن حيّان، كتاب الأحجار، ضمن كتاب: مختار رسائل جابر بن حيّان، ص ١٣٥-١٤٦.
(٣) سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٢٣٠.
(٤) يُنظر: جابر بن حيّان، كتاب الأحجار، ضمن كتاب: مختار رسائل جابر بن حيّان، ص١٤١.

أمّا الصورة الثانية فكان تمثيلُ جابرِ بن حيّان عليها لافتا إذ قال: "وينبغي أن تعلمَ أنَّ من الزوائد ما يحكيه الإعراب، فينبغي أن يُطَّرح ولا يُعتدَّ به، مثل: زيدٌ وزيداً وزيدٍ في الرفع والنصب والخفضِ أو الجرّ. ومثل: الزيدَانِ والزيدونَ في التثنية والجمع"(١)؛ كأنَّه يشيرُ إلى أنَّ مِنَ الزوائد ما يكون علامةً لا معنى متّحدا بالكلمة، وهي المسألة التي شَجَرَ فيها الخِلافُ بين النحاة، لكنَّ الراجحَ أنَّ علامةَ الإعراب زائدةٌ على الكلمة في الموضع المعروف بحرف الإعراب للإعراب بالحركات، ولعلامة الإعراب نفسها في المعرَب بالحروف؛ لهذا جعل سيبويه حروفَ الإعراب للأسماء المتمكنة وللأفعال المضارعة، وعدَّ حروفَ المدّ واللين في التثنية والجمع حروفَ إعراب، وحروفُ الإعراب تدخل لعامل(٢)؛ أي: أنَّها ليست جزءا من ماهيةِ المعمول، لكنَّها أمارةٌ وعلامة، كغُموقةِ اللونِ الأزرق التي تزيد في تأكيد زُرقته من غير أن تكون بذاتها لونا زائدا جديدا.

وقد كانَ الزجّاجيّ المتوفي في حدود سنة ٣٣٩ للهجرة أكثر إيضاحا للفكرة عندما عدَّ الكلامَ أسبقَ من الإعراب، فقال: "إنَّ الأشياءَ مراتبُ في التقديم والتأخير، إمّا بالتفاضل أو بالاستحقاق أو بالطبع أو على حسب ما يوجبه المعقول. فنقول: إنَّ الكلامَ سبيلُه أن يكون سابقا للإعراب؛ لأنَّا قد نرى الكلام في حالٍ غيرَ مُعربٍ، ولا يختلّ معناه، ونرى الإعراب يدخل عليه ويخرج، معناه في ذاته غير معدوم. مثال ذلك أنَّ الاسم نحو: زيد ومحمد

(١) يُنظر: جابر بن حيّان، كتاب الأحجار، ضمن كتاب: مختار رسائل جابر بن حيّان، ص١٣٤.
(٢) يُنظر: سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ١٣-١٤، و١٧-١٨. ويُنظر في خلاف النحاة وعلله: العكبريّ، عبدالله بن الحسين (ت٦١٦هـ/١٢١٩م) اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي طليمات وعبدالإله نبهان، دار الفكر المعاصر، ط ١، بيروت، ١٩٩٥م، ج ١، ص ٥٤-٦٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وجعفر، وما أشبه ذلك، معرَبا كان أو غير مُعرب، لا يزول عنه معنى الاسميّة"(١).

وهذا الذي اتفق فيه سيبويهِ وجابرُ بنُ حيّان والزجّاجيُّ يعني أنَّ الحالة الأولى للشيءِ في منهج البحث العلميّ هي الحالة الصِّفريّة التي تسبقُ تحوّله من بسيطٍ إلى مركّبٍ دالٍّ بالتركيب على معنى لم يكن فيه قبلُ، وهو قريب من مفهوم "نظريّة الصفر الإعرابيّ"(٢) التي ينبغي أن تطويرها الآن إلى "نظريّة الصفر المعرفيّ" التي تعني أن الشيءَ قبل حركته، أو تركُّبه أو انفِعاله مع آخر له معنى ساكنٌ في ذاته غيرُ متعدٍّ إلى غيره، ولا قادرٌ على أن يكون بسكونه معنى مركّبا؛ لأنَّ التركيبَ مشروطٌ بالحركة أو بالبسيط الثاني أو بالاثنين معا مع أنَّ البسيطَ في المعرفة قد يكون سببا للمعنى الجديد مع أنَّه ليس منه، فالورقة البيضاء الكبيرة، فيها معنى البياض، لكنَّها تفقده عندما نكتبُ فيها جملةً ما، فيصبح المعنى المتداول هو معنى تلك الجملة الجديدة، لا بياض الورقة المكتوب عليها تلك الجملة.

وقد قامتْ منهجيّةُ الاستدلال والاستنباط عندَ جابر بن حيّان على فكرة التعلُّق، وهي قياسُ الغائب على الشاهد، وقال: "إنَّ هذا التعلّق يكون من الشاهد بالغائب على ثلاثة أوجهٍ، وهي المجانسة، ومجرى العادة، والآثار"(٣).

---

(١) الزجّاجيّ، عبد الرحمن بن إسحاق (ت ٣٣٩ه/٩٥٠م) الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، ط ٣، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٦٧. وبيّن في موضع آخر أنَّ هذا السبق تصوّري نظريّ وليس تاريخيّا زمنيّا. يُنظر كتابه، ص ٦٨.

(٢) يُنظر حسن خميس الملخ: نظريّة التعليل في النحو العربيّ بين القدماء والمحدَثين، دار الشروق، ط ١، الأردن، ٢٠٠٠م، ص ١٥٠-١٥٢.

(٣) يُنظر: جابر بن حيّان، كتاب التصريف، ضمن كتاب: مختار رسائل جابر بن حيّان، ص٤١٥.

ومثّل على تعلّق المجانَسة بقياس رؤية يدٍ تعرفُها لصاحبٍ ما في الاستدلال على رؤيته كلّه مع أنَّنا لم نرَ من ظاهر الجسم إلا اليد، وشرح قيمة هذا الاستدلال في الإثبات(١).

وهذا القياس قياسُ شَبَهٍ للمُجانسة، وله وجهان في النحو العربيّ عند سيبويه وغيره:

الوجه الأوّل: إثباتُ الحُكم لتحقّق الشبَه، فقد أكَّدَ سيبويه أنَّ الضمير "الكاف" في: هُم ضاربُوكَ" لم يكن إلا في موضع جرّ، وحرّرَ عليه وجوبَ حذف النون والتنوين، فقال: "واعلمْ أنَّ حذفَ النون والتنوين لازمٌ مع علامة المضمر غير المنفصِل"(٢)، فقد أعلنَ قانونا كُليّا يُستدَلُّ به في كلّ ضمير يتصل باسمٍ منوّنٍ أو مثنى أو جمع مذكر سالم من غير الاحتياج إلى معرفة معنى الكلمة بالضرورة، أو استعمال الكلمة التي مثّل بها سيبويه، فالمهمُّ تحقّق اتّصال الضمير بالاسم، كما في: "كتابُكَ، وقَدَمَاكَ، وأهْلُوكَ".

وهذه المجانَسَة قِياسُ طَردٍ يؤوبُ إليه النحاة كابرا عن كابرٍ؛ لأنَّه خطوةٌ منهجيّة متمّمة لمبدأ التعميم في التقنين، فنحن لم نسمع كلّ فاعلٍ مرفوعا، لكنّنا إذا حكمنا بأنَّ كلمةً ما في جملة ما فاعِلٌ، حكمْنا بالضرورة أنَّها في حاجةٍ إلى علامةِ رفعٍ، كما نحكم بضرورة أن يكونَ اسم الفاعل من الفعل الثلاثيّ على وزن "فاعِل" حتى لو وُلِدَ الفعلُ في العصر الحديث؛ وقد أحسَنَ المازنيُّ التعبير عن مبدأ المجانسة بقَولَتِه المشهورة: "ما قِيسَ على

(١) يُنظر: جابر بن حيّان، كتاب التصريف، ضمن كتاب: مختار رسائل جابر بن حيّان، ص ٤١٥-٤١٧.

(٢) يُنظر: سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ١٨٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كلامِ العربِ فهو من كلامِ العرب"[١]، وما هذه القَولةُ إلا صياغة تنظيريّة لما قام به النحاة السابقون عليه مثل الخليل وسيبويه والفرّاء والأخفش الأوسط وغيرهم.

وأكثر ما تبرزُ المجانسة عند سيبويه في أسئلة الفَرْضِ[٢] عندما يقولُ مَثَلا: "وإنْ سَمَّيتَ رَجُلا (ضُرِبَ) ثمَّ خَفَّفْتَه فأسمنْتَ الرّاءَ؛ صَرَفْتَه؛ لأنَّك قد أخرَجْتَهُ إلى مِثالٍ ما ينصرِفُ"[٣] ؛ فسيبويه حَكَمَ على الغائب المعدوم بالقياس على المعلوم عندما قاسَ منع رجلٍ اسمُه (ضُرِبَ) من الصرف إذا كان الحرف الثاني من أحرفِه الثلاثة محرَّكا، وحكَمَ بالمنْعِ إذا لَحِقَ التسكينُ الحرف الثاني من الأحرُفِ الثلاثة بقياسٍ لا يهدف إلا إلى تحقيق المجانسة مع المستعمَل، وتجاوز ضرورة الاحتياج إلى تحقُّق استعمال اللفظة نفسِها.

والوجه الثاني: نفيُ الحُكم لفَوات الشبه بالمجانسة، فلم يُجْرِ سيبويهِ ياءَ النسبة وياء الإضمار على ياء الاسم المنقوص؛ لاختلافِهما، وإن كانت صورة الحرف واحدة، فقال: "وأمّا ياء "هذا قاضِيَّ"، و"هذانِ غُلامايَ"، و"رأيتُ غُلامِيَّ"؛ فلا تُحذف؛ لأنَّها لا تُشبه ياء "هذا القاضي" لأنَّ ما قبلها ساكن –يقصد الياء الأول من ياء النسبة المشدّدة، والألف في الكلمة الثانية، والياء الأولى من ياء الإضافة المشدّدة – ولأنَّها متحرّكة كياء "القاضي" في

---

(١) يُنظر قولتَه التي ذكرَها: ابن جِني، عثمان (ت ٣٩٢ه/١٠٠٢م) الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، مصورة دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ١٩٩٠م، ج ١، ص ٣٥٨.

(٢) مُصطلح التمارين غير العمليّة لا يدلّ دلالة دقيقة على ما نحن بصدد الحديث عنه، فهو كالجزء منه، والأصل أنَّ الاسم المنهجيّ الصحيح هو "الفرْض"، لكنَّ الاسم الوصفيّ: "التمارين غير العمَليّة" من أثر الخُضوع لسلطة التعليم، لا لسلطة البحث النظريّ المنهجيّ المحض.

(٣) سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ٢٢٧.

النصب، فهي لا تُشبه ياء: "هـذا القاضـي"، ولا تُحـذف فـي النـداء إذا وصلتَ"[١]؛ وذلك لأنَّ المجانسة تقتضي المشابهة.

كما استدلَّ جابر بن حيّان على تعلّق الشاهد بالغائب لمجرى العادة بما يستعمله الناس لكثرة الاستعمال بتقبّلهم له، والعمل في أمورهم عليه، وقـد وصف الاستدلال به بأنَّه "علمِ إقناعيّ"[٢].

وكثرة الاستعمال مَرْعِيّةٌ في القياس على المسموع عن العرب، سواء أكان المسموعُ كثيرا كثرةً مطلقة أم كثرة نسبيّة[٣] من غير الاحتيـاج فـي التعليل إلى كثرة الاستعمال، كما في رفع الفاعل، فإنَّ اللسانَ قادرٌ على نطق الفاعل منصوبا، أو مجرورا، ولو جرّتِ العادةُ بنصب الفاعل من أوّل مـرّة لكان الوجهُ في القياس، ومنه نصب المفعول به علـى الاختصـاص بفعـل محذوف وجوبا، كما في: "نحن العربَ أقرى الناسِ لضيفٍ"، فالفعل الناصـب للمفعول "العرب" مُضمر، كالفعل الناصب للمنادى إلا أنَّه لا يجوز أن نقـول: يا العربَ[٤]. وما من وجهٍ يمنعُ هذا النداء بعد اقتياسه على الاختصـاص إلا معهود كلام العرب في نداء المعرّف بـ"أل" التعريف.

والإقناعُ بمجرى العادة قد يحتملُ السؤال عن القياس على غائب آخر، كما في قول سيبويه: "واعلمْ أنَّه ليسَ في العربيّة مُضافٌ يدخلُ عليه الألـفُ واللام غير المضاف إلى المعرفة في هذا الباب"[٥] : يقصد باب إضافة الصفة

(١) يُنظر: سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ١٨٧.
(٢) يُنظر: جابر بن حيّان، كتاب التصريف، ضمن كتاب: مختار رسائل جابر بن حيّان، ص ٤١٨.
(٣) يُنظر: حسن خميس الملخ، نظريّة الأصل والفرع في النحو العربيّ، دار الشـروق، ط ١، الأردن، ٢٠٠١م، ص ٧٥-٨٠.
(٤) يُنظر: سيبويه، الكتاب، ج ٢، ص ٢٣٤.
(٥) سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ١٩٩-٢٠٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المشبّهة إلى الاسم المعرّف بالألف واللام، وهو باب الصفة المشبّهة بالفاعل فيما عملت فيه[١]، لكنَّ بعضَ النحاة بعدَه بحثوا القياسَ عليها في سائر المشتقّات، ولا سيّما في عمل اسم الفاعل، فأجازَ ابنُ مالك إضافة ما بـه أل التعريف إلى اسم الفاعل العامل على اضطراب بين القياس مُطلقا، أو حفظ ما وَرَدَ من الشواهد الخمسة التي ذكَرَها[٢] .

وَعَدَّ جابرُ بن حيّان تعلُّقَ الشاهدِ بالغائب بالآثار على مثالٍ واحدٍ من أضعفِ ما يوجد في القياس[٣] ؛ لأنَّ الأصلَ أن تجريَ الأمورُ على نظامٍ ومُشابهة ومماثلة؛ لأنَّ القياسَ بالآثار يحتمل الضدّ على الصواب كالاستدلال بأنَّ امرأةً ستلدُ ولدا اتكالا على أنَّها في العام الأول والثاني قد ولدت ولدا ذَكَراً، وهذا ليس بيقين؛ فإن ولدت أنثى كان الإنجاب إنجابا على مقتضى طبائع الأمور[٤].

وهذا التمثيلُ يُذَكّر بما جرى بين عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء من شيوخ سيبويه، فقد كان أبو عمرو بن العلاء يُجيز الرفعَ والنصبَ في

---

(١) يُنظر: المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ١٩٤-٢٠٠.

(٢) يُنظر: ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبدالله (ت٦٧١ه/١٢٧٣م) شرح التسهيل: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠١م، ج ٢، ص ٤١٢-٤١٤.

(٣) أشار علي سامي النشّار إلى ما تبيّنه كراوس من وجود خرم واضطراب في أصل المخطوط جعل الكلام عن الاستدلال بالعادة غير واضح. يُنظر كتابه: مناهج البحث عند مُفكّري الإسلام واكتشاف المنهج العلميّ في العالم الإسلاميّ، دار النهضة العربيّة، ط ٣، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٣٤٤-٣٤٥.

(٤) يُنظر: جابر بن حيّان، كتاب التصريف، ضمن كتاب: مختار رسائل جابر بن حيّان، ص ٤١٨-٤١٩.

كلمة "المسك" من "ليسَ الطِّيبُ إلا المِسك"، لكنَّ عيسى بن عمر لم يكن يجيز إلا النصب، فقال له أبو عمرو: ليسَ في الأرضِ حجازيّ إلا وهو ينصبُ، وليسَ في الأرضِ تميميّ إلا وهو يرفع[١]، فقاسَ عيسى بنُ عمر النصبَ في أشباه جملته؛ لأنَّه لم يبنِ قولَه إلا على ما عَهِدَه من لغة الحجاز مع إيمانِه بأنَّ الاحتمالَ الثاني لم يمنعه من القَول به إلا ما اعتادَه من تفشّي الاحتمال الأوّل في ضَوء جهله تمثّل الاحتمال الثاني.

وفي كتاب سيبويه أنَّه أجازَ النصب والإتباع في "ثلاثتهم" من نحو: مررتُ بهم ثلاثتَهم؛ لأنَّ النصب مجرى آثار لغة الحجاز، والإتباع مجرى آثار لغة تميم[٢]، وكلاهما صوابٌ لا يمنع أخاه، ولا يوجبه، بل يُجيزه؛ ولهذا صرَّح علي سامي النشّار بأنَّ الاستدلالَ بالآثار يكون في الرواية والسماع وشهادة الغير[٣]، لكنَّ مستوى هذا الدليل يرتقي إلى درجة عالية من الاطمئنان باستعمال تقنية "الثقة"، وهي التقنية التي اشترطَها جابرُ بن حيّان في فحص الأثر؛ ليرتقي به إلى درجة الاستدلال شبه اليقينيّ، مع أنَّ صفة "الثقة" في نقلِ الأثر وظَّفَها بإبداعٍ علماءُ الحديث النبويّ في قواعد الجرح والتعديل والرواية[٤]، كما وظّفَها النحاةُ في نظريّة الشواهد، وهذا يصل إلى أنَّ فكرة موثوقيّة الأثر تقنية منهجيّة عامة بأشكال قد تختلف من علمٍ إلى آخر، لكنَّها إضافة مهمّة إلى درجة الإفادة من الاستدلال بالأثر.

---

(١) يُنظر: الزجّاجيّ، عبد الرحمن بن إسحاق (ت٣٣٩هـ/٩٥٠م)، مجالس العلماء، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط ٣، مصر، ١٩٩٩م، ص ٣.

(٢) يُنظر: سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٣٧٣-٣٧٤.

(٣) يُنظَرُ: علي سامي النشّار، مناهج البحث عند مُفكّري الإسلام واكتشاف المنهج العلميّ في العالم الإسلاميّ، ص ٣٤٥.

(٤) يُنظَرُ: جلال محمد عبد الحميد موسى، منهج البحث العلميّ عند العرب، ص ١٣٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إنَّ السؤالَ الذي يمكنُ استعلانُه من هذه المقاربة المنهجيّةِ بين رَجُلِ الكيمياءِ جابرِ بن حيّان، ورجلِ النحو سيبويهِ في القرن الثاني الهجريّ: إلى أيِّ مدى يمكنُنا أن نبنيَ أنموذجا لمنهج البحث عند علماء الإسلام، تقاسُ به المعرفةُ في علمٍ على آخر، وإن لم يكتبْ علماءُ ذلك العلم تنظيرَهم لما قنَّنوه اعتمادا على سيرورة ثقافةٍ منهجيّةٍ متّحدة في الزمن والمكان، أو في الزمن على الأقلّ، فللمعاصرة ثقافتُها، وللعلم مواضعاتُه، ولا سيما أنَّه قد تبيّنَ لنا أنَّ الرجلين اتخذَا من المشاهَدات التي تعادِلُ المسموعاتِ في النحو فُروضاً منهجيّة، اختبَراها على عيّنة، بَنَيَا عليها استنباطا مجرّدا أوّليّا على مستوى القانون أو العلّة أو الاثنين معا، ثم طبَّقا تقنيةَ تصديق الفرْض والاستنباط على العينة الموسّعة؛ للتأكّد من صَحّة الاستنباط والتعليل. كما اتّخَذَا من القياس أداةً منهجيّة في البحث بإقامة اقتران قياس الغائب على الشاهد على مجرى الشبه والعادة والأثر؟

أمَا وقدْ قدّمتُ ما قدّمتُ فالإجابة عندي بالإيجاب، والله الهادي إلى الصواب.

المصادر والمراجع:

❖أدونيس، النصّ القرآنيّ وآفاق الكتابة، دار الآداب، ط ١، بيروت، ١٩٩٣م.

❖جابر بن حيّان (ت١٩٨ه/٨١٣م) مختار رسائل جابر بن حيّان، عُنِيَ بتصحيحها ونشرها: پ. كراوس، طبعة مصورة في مكتبة المثنّى، بغداد، عن طبعة مكتبة الخانجي، ط ٢، مصر، ١٩٩٤م.

❖جلال محمد عبد الحميد موسى، منهج البحث العلميّ عند العرب، دار الكتاب اللبنانيّ، ط ١، بيروت، ١٩٧٢م.

❖ابن جِني، أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢ه/١٠٠٢م) الخصائص، تحقيق: محمد علي النجّار، مصوَّرة دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، ١٩٩٠م.

❖حسن خميس الملخ، التفكير العلميّ في النحو العربيّ، دار الشروق، ط ١، الأردن، ٢٠٠١م.

❖حسن خميس الملخ، تقنيات الإعراب في النحو العربيّ، عالم الكتب الحديث، ط ١، الأردن، ٢٠١٥م.

❖حسن خميس الملخ، العقل النحويّ: دراسة تفكيكيّة في مسائل الخلاف النحويّ، عالم الكتب الحديث، ط ١، الأردن، ٢٠١٨م.

❖حسن خميس الملخ وسهى فتحي نعجة، المحظورات اللغويّة: منازل الرؤية ومسالك التطبيق، عالم الكتب الحديث، ط ١، الأردن، ٢٠١٥م.

❖حسن خميس الملخ، نظريّة الأصل والفرع في النحو العربيّ، دار الشروق، ط ١، الأردن، ٢٠٠١م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

❖حسن خميس الملخ، نظريّة التعليل في النحو العربيّ بين القدماء والمحدَثين، دار الشروق، ط ١، الأردن، ٢٠٠٠م.
❖رجاء وحيد دويدري، البحث العلميّ: أساسيّاته النظريّة وممارساته العمَليّة، دار الفكر، ط ١، دمشق، ٢٠٠٠م.
❖رحاب عكاوي، جابر بن حيّان الموسوعيّ العربيّ، دار الفكر العربيّ، ط ١، بيروت، ١٩٩٨م.
❖الزجّاجيّ، عبد الرحمن بن إسحاق (ت٣٣٩ه/٩٥٠م) الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، ط ٣، بيروت، ١٩٧٣م.
❖الزجّاجيّ، عبد الرحمن بن إسحاق (ت٣٣٩ه،٩٥٠م) مجالس العلماء، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط ٣، مصر، ١٩٩٩م.
❖زكي نجيب محمود، جابر بن حيّان، مكتبة مصر: المركز العربي للثقافة والعلوم، ط ١، مصر، ١٩٦١م.
❖سيبويه، عمرو بن عثمان (١٨٠ه/٧٩٦م) الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط ١، بيروت، ١٩٩١م.
❖السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١ه/١٥٠٥م) تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب، تحقيق: حسن الملخ، وسهى نعجة، عالم الكتب الحديث، ط ١، الأردن، ٢٠٠٥م.
❖الصفديّ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ه/١٣٦٣م) الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت، ٢٠٠٠م.

❖العكبريّ، عبدالله بن الحسين (ت ٦١٦ه/١٢١٣م) اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: غازي طليمات وعبدالإله نبهان، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، ط ١، بيروت، ١٩٩٥م.

❖علي سامي النشّار، مناهج البحث عند مُفكّري الإسلام واكتشاف المنهج العلميّ في العالم الإسلاميّ، ط ٣، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤م.

❖فاضل خليل إبراهيم، خالد بن يزيد: سيرته واهتماماته العلميّة: دراسة في العلوم عند العرب، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٨٤م.

❖فؤاد سزكين، تاريخ التراث الإسلاميّ: السيمياء والكيمياء – النبات والفلاحة، ترجمة مجموعة مترجمين، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٤م.

❖ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبدالله (ت ٦٧١ه/١٢٧٣م) شرح التسهيل: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلميّة، ط ١، بيروت، ٢٠٠١م.

❖محمد عابد الجابريّ، بنية العقل العربيّ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٩، بيروت، ٢٠٠٩م.

❖محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربيّ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١٠، بيروت، ٢٠٠٩م.

❖النديم، محمد بن إسحاق (ت ٣٨٥ه/٩٩٥م) الفهرست، ضبطه وشرحه وعلّق عليه وقدّم له: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٦م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	الملخص	١٤٦٠٣
٢.	Abstract	١٤٦٠٤
٣.	الدراسة :	١٤٦٠٥
٤.	المصادر والمراجع:	١٤٦٣١
٥.	فهرس الموضوعات	١٤٦٣٤

تم بحمد الله